

الاحتباس بين البنية والدلالة: دراسة نحوية بلاغية في ضوء الوظيفة التواصلية

Precaution Between Structure and Meaning: A Grammatical and Rhetorical Study in Light of the Communicative Function

د. جمال قالم*

كلية الآداب واللغات، جامعة البويرة، الجزائر، d.kalem@univ-bouira.dz

تاريخ الاستلام: 2025/04/25؛ تاريخ القبول: 2025/10/18؛ تاريخ النشر: 2025/12/30

ملخص:

يتناول المقال "الاحتباس بين البنية والدلالة: دراسة نحوية بلاغية في ضوء الوظيفة التواصلية" تحليلاً لمفهوم "الاحتباس" في اللغة العربية، مُركّزاً على دور هذا الأسلوب في تعزيز الوضوح والدقة في عملية التواصل، يستعرض كيف يؤثر الاحتباس في البنية النحوية للجمل، موضحاً استخدامه لأدوات أو تراكيب لغوية مثل الاستثناء أو الجمل المعترضة التي تهدف إلى توضيح المعنى وتفادي اللبس، كما يبرز البعد البلاغي لهذا الأسلوب، مبيناً كيف يعمل الاحتباس على توجيه الانتباه إلى جوانب محددة من الرسالة، مما يعزز تأثيرها في المتلقي ويمنع تداخل المعاني أو تعدد التفسيرات، يربط المقال بين الاحتباس والوظيفة التواصلية، حيث يُظهر أنه أداة ضرورية لضمان نقل الرسالة بفعالية ووضوح بين المتحدث والمستمع أو الكاتب والقارئ، كما يستعرض أمثلة من القرآن الكريم والشعر العربي لتوضيح كيفية توظيف الاحتباس في سياقات متنوعة، مما يعكس دوره الفاعل في تحسين التواصل وتوضيح المعاني في النصوص الأدبية والدينية.

كلمات مفتاحية: الاحتباس؛ البنية النحوية؛ الدلالة، البلاغة؛ الوظيفة التواصلية.

Abstract:

The article "Precaution Between Structure and Signification: A Grammatical and Rhetorical Study in Light of the Communicative

"Function" provides a detailed analysis of the concept of "precaution" in the Arabic language, focusing on the role of this stylistic device in enhancing clarity and precision in communication. It examines how precaution affects the syntactic structure of sentences, explaining its use of linguistic tools or constructions such as exceptions or parenthetical phrases that aim to clarify meaning and avoid ambiguity. The article also highlights the rhetorical dimension of this device, showing how precaution directs attention to specific aspects of the message, thus enhancing its impact on the recipient and preventing the overlap or multiplicity of interpretations. The study connects precaution with the communicative function, demonstrating that it is a necessary tool for ensuring the effective and clear transfer of a message between the speaker and the listener or the writer and the reader. The article also provides examples from the Quran and Arabic poetry to illustrate how precaution is employed in various contexts, reflecting its active role in improving communication and clarifying meanings in literary and religious texts.

Keywords: Precaution; Syntactic Structure; Signification; Rhetoric; Communicative Function.

المقدمة:

تُعدّ اللغة وسيلةً جوهريّةً في نقل الأفكار، وتبادل المعاني، وبناء العلاقات الإنسانية، ولا تكتمل فاعلية هذه الوسيلة إلا من خلال التواصل الواضح والمنضبط بين أطراف الخطاب، ومن بين الوسائل التي تُسهم في ضبط المعنى وتوجيه المتلقي نحو الفهم الصحيح، يبرز الاحتراس بوصفه آلية لغوية وبلاغية دقيقة، تلعب دورًا أساسيًا في تحقيق التوازن المعنوي والوضوح الدلالي في الخطاب.

وقد عُني علماء النحو والبلاغة في التراث العربي بهذه الظاهرة، سواء من حيث بنيتها اللغوية أو وظيفتها التواصلية، لما لها من أثر بالغ في دفع الإيهام، ورفع التوهم، ومنع اللبس في المعاني المتبادلة بين المتحدث والمتلقي، فالاحتراس، بنوعيه النحوي والبلاغي، لا يُعد مجرد ترفٍ لغوي، بل هو أداة فاعلة في تدقيق الرسالة اللغوية وضمان سلامة تأويلها.

يتناول هذا البحث ظاهرة الاحتراس من زاويتين متكاملتين: نحويًا من حيث تأثير أدوات التقييد والاحتياط على البنية التركيبية للجملة، وبلاغيًا من حيث وظيفته الجمالية والتواصلية في إنتاج نصّ متماسك المعنى، متوازن الدلالة، كما يسعى البحث إلى استجلاء دور الاحتراس في إنجاح العملية التواصلية، عبر تحليل عدد من النماذج اللغوية والنصوص التراثية والمعاصرة، لتبيان كيف يمكن للاحتراس أن يُحدث فارقًا في فهم المعنى وتوجيهه.

إنَّ أهمية هذا الموضوع تنبع من حضوره الدقيق في صميم الأداء اللغوي الواعي، ومن الحاجة الملحة لإدراك آليات التعبير الراقي التي تتجاوز النقل البسيط للمعاني، إلى التأثير والتوجيه والإقناع، وهي الغاية العليا لأي تواصل لغوي ناجح.

رغم ما يشكّله الاحتراس من أهمية بلاغية ونحوية في ضبط المعنى وتوجيه الفهم، إلا أن حضوره في الدراسات اللغوية الحديثة، وخاصة في علاقته بالعملية التواصلية، ما زال محدودًا نسبيًا، فهل يُعد الاحتراس مجرد مظهر لغوي جمالي؟ أم أنّه أداة فاعلة في توجيه الرسالة وتقوية تأثيرها؟ وما هي أوجه التداخل بين الاحتراس النحوي والبلاغي في بناء خطاب ناجح وظيفيًا وتواصليًا؟ وكيف يُسهم في رفع اللبس وتقليل سوء الفهم لدى المتلقي؟

من هنا، تنبثق الإشكالية المركزية لهذا البحث، التي تسعى إلى الكشف عن الدور الوظيفي والمعنوي للاحتراس، من خلال استقصاء تجلياته في النحو والبلاغة، وبيان أثره في فهم الرسالة التواصلية بوضوح ودقة.

يهدف هذا المقال إلى:

- تحديد مفهوم الاحتراس في كل من النحو والبلاغة العربية.
- بيان الفرق بين الاحتراس البلاغي والنحوي، من حيث البنية والوظيفة.
- استقصاء أثر الاحتراس في تعزيز وضوح الرسالة وتحقيق الفهم الصحيح لدى المتلقي.
- إبراز دور الاحتراس في إنجاح العملية التواصلية وتوجيه المعنى.

ويعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي في تناول المفاهيم النحوية والبلاغية، مع الاستعانة بالمنهج التداولي في تحليل الأثر التواصلية للاحتراس، والله أسأل السداد

والتوفيق.

1. الاحتراس في درسي النحو والبلاغة العربية:

من بين أسباب نشأة الدرس النحويّ والبلاغيّ عند العرب حرصهم على بقاء لغة القرآن الكريم على نقائها، وإصلاح ألسنة الناس المستعربين، والوصول بهم إلى أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة، والتحرّز من اللحن، الذي قد يمتدّ إلى قراءة القرآن الكريم، وحرصهم أيضاً على نجاح عمليّة التواصل بين المتكلّم والمتلقّي، ولعلّ من الأمور التي يشترك فيها العلمان هذه الغاية، وهي الاحتراز من الخطأ والزلل في التواصل، والحرص على وصول الرسالة من المتكلّم إلى المتلقّي في أحسن حال، وتلافي كلّ ما يحول دون ذلك.

1.1 مفهوم الاحتراز:

1.1.1 في اللغة:

جدير في البدء التطرّق إلى المفهوم اللغويّ للكلمة، فالاحتراز أو الاحتراز في اللغة كما ورد في لسان العرب: «حرس الشيء يحرسه ويحرسه حرساً: حفظه، واحترس منه: تحرز، وتحرس من فلان واحترست منه بمعنى، أي: تحفّظت منه»⁽¹⁾. ويقول ابن فارس في مقاييس اللغة: «الحاء والرّاء والرّاء أصل واحد، وهو في الحفظ والتحقّظ، يقال حرزته، واحترز هو، أي: تحفّظ، وناس يذهبون إلى أنّ هذه الرّاء مبدلة من سين، وأنّ الأصل الحرّس، وهو وجه»⁽²⁾. وهي كلّها مفاهيم تدور حول الحفظ والتحقّظ، ويظهر منها أنّ الاحتراز والاحتراز والتحرّز والتحرّس بمعنى واحد.

2.1.1 في الاصطلاح:

في الجانب الاصطلاحيّ نجد تعريفات أغلب الدارسين، قدماء ومحدثين، للاحتراز متقاربة، فقد جاء في البرهان في علوم القرآن أنّ الاحتراز هو: «أن يكون الكلام محتملاً لشيء بعيد، فيؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال»⁽³⁾.

(1). ابن منظور، لسان العرب، ج: 03، دار صادر، ط: 03، بيروت، دت، مادة: (حرس).

(2). أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، مادة: (حرز).

(3). الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: 03، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي وصاحبا، دار المعرفة، بيروت،

ويعرفه ابن حجة الحموي بقوله: «هو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجّه عليه فيه دخل فيفطن له، فيأتي بما يخلصه من ذلك»⁽¹⁾.

ويعتبر صاحب كتاب "البلاغة العربية" أسسها وعلومها وفنونها "الاحتراس" زيادةً إطنابيةً في الكلام يدفع بها المتكلم إيهاماً اشتمل عليه كلامه»⁽²⁾، فالاحتراس إذاً هو أسلوب يستخدم فيه المتكلم أو الكاتب لمنع إساءة الفهم أو لإزالة توهم قد يقع فيه المتلقي، عبارة توضح المقصود، أو تُقيد المعنى، أو تُنبّه السامع إلى شيء معين، فالاحتراس أو الاحتراز هو كلّ زيادة في الكلام يجيء بها المتكلم لدفع ما يوهمه كلامه ممّا ليس مقصوداً منه.

وقد تعدّدت المصطلحات التي تقترب من مصطلح الاحتراس، استعملها بعض البلاغيين القدماء بمعنى واحد ومنهم من فرق بينها، فمن بين هذه المصطلحات: التتميم أو التكميل، والاحتياط، ودفع التوهم، والمواربة، والمناقصة وغيرها، فابن رشيق سماه في العمدية التتميم وقال: «وهو التمام أيضاً وبعضهم يسمي ضرباً منه احتراساً واحتياطاً»⁽³⁾، ثم يعرفه بقوله: «ومعنى التتميم أن يحاول الشاعر معنى فلا يدع شيئاً يتمّ به حسنه إلا أورده وأتى به إمّا مبالغة وإمّا احتياطاً واحتراساً من التقصير»⁽⁴⁾، وهنا يجعل الاحتراس ضرباً من أضرب التتميم، كما يجعل الاحتراس والاحتياط بمعنى واحد.

أمّا ابن أبي الإصبع فيفرّق بين الاحتراس وغيره من المصطلحات التي تشابهه، ويبدأ بتعريف الاحتراس فيقول: «وهو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجّه عليه دخل، فيفطن له، فيأتي بما يخلصه من ذلك»⁽⁵⁾، ثمّ يشرع في التفريق بينه وبين المصطلحات الأخرى، فيرى الفرق بين الاحتراس والتكميل والتتميم «أنّ المعنى قبل التكميل صحيح تامّ، ثمّ يأتي التكميل بزيادة يكمل بها حسنه إمّا بفضّ زائد أو بمعنى، والتتميم يأتي ليتّم نقص المعنى ونقص

1990، ص: 142.

(1). ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج: 02، تج: عصام شقيو، دار الهلال، بيروت، 2004، ص: 486.

(2). عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج: 02، دار القلم، دمشق، 1996، ص: 84.

(3). ابن رشيق، العمدية في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ج: 02، تج: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، د ت، ص: 50.

(4). نفسه، ص

(5). ابن أبي الإصبع، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تج: حفي محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1963 ص: 245.

الوزن معاً والاحتباس لاحتمال دَخَلَ على المعنى، وإن كان تاماً كاملاً، ووزن الكلام صحيحاً⁽¹⁾، وقد عاب على ابن رشيق جعله الاحتباس بمعنى التتميم، فيقول: «وقد جعل ابن رشيق الاحتباس نوعاً من التتميم، وسوّى بينهما، وقد ظهر الفرق بينهما، فجعلهما في باب واحد غير سائغ»⁽²⁾، لكن في الحقيقة أنّ ابن رشيق لم يسوّى بينهما وإنّما جعل الاحتباس ضرباً من التتميم، وهذا واضح من قوله السالف.

وبعد ذلك يفرّق بينه وبين المواربة، فيرى «أنّ الاحتباس يُؤتى به وقت العمل عندما يتفطن المتكلم لموضع الدخول، والمواربة يُؤتى بها وقت العمل، وبعد صيرورة الكلام، والمواربة تكون بالتصحييف والتحريف واهتمام الكلمة، والزيادة والنقص»⁽³⁾، والاحتباس بزيادة الجمل المفيدة المتضمنة معنى الانفصال عما يحتمله الكلام من الدخول، والمواربة تكون في نفس الكلام وتكون منفصلة عنه، والاحتباس لا يكون إلا في نفس الكلام»⁽⁴⁾، فأساس الفرق بين الاحتباس والمواربة في أنّ الأول يكون بزيادة جمل تزيل وهما نتج عن كلام سابق، أمّا المواربة فتكون بتغيير هيئة الكلمات بالزيادة أو النقص أو تغيير حركة أو غير ذلك.

أمّا عن الفرق بين الاحتباس والمناقضة والانفصال فيرى ابن أبي الإصبع أن «الاحتباس هو ما فطن له الشاعر أو الناثر وقت العمل فاحترس منه، والانفصال ما لم يفتن له حتى يُدخل عليه، فيأتي بجملة من الكلام، أو بيت من الشعر ينفصل به عنه ذلك الدخّل»⁽⁵⁾ والدخّل هو فساد التركيب أو الكلام.

2.1 الاحتباس في النحو العربي:

يُعد الاحتباس في النحو العربي أداة أساسية لضمان دقة التعبير اللغوي وضبط

(1). نفسه، ص ن.

(2). ابن أبي الإصبع، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ج: 02، ص: 245.

(3). كما يروى أنّ أحد الشعراء أنشد هارون الرشيد شعراً، غير أنّ الخليفة كان منشغلاً عنه بجارية اسمها خالصة فخرج من عنده وهو يقول:

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع درّ على خالصة

فلما بلغ الرشيد ذلك أنكر على الشاعر وهذّده، فقال: يا أمير المؤمنين لم أقل إلا:

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع درّ على خالصة

(4). ابن أبي الإصبع، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ج: 02، ص: 245.

(5). نفسه، ص: 246.

العلاقات بين الألفاظ، يحتفظ النحو العربي بتقنيات تضمن الوضوح في ترتيب الكلمات ودلالاتها، بحيث يسهم في منع اللبس أو التحريف الذي قد ينتج عن الاختلال في التراكيب اللغوية، فالغرض من النحو، ذاته، هو الاحتراس من الخطأ في التأليف، أو تركيب الجملة، فالتركييب النحوية يتم تشكيلها وفقاً للمعنى المقصود منها، وأنه لا يخلو تركيب من معنى يحتزّز للمعنى من خلاله، كما أنّ الإعراب في حدّ ذاته مظهر من مظاهر الاحتراز، يقول صاحب موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم عن الغرض من النحو هو: «الاحتراز عن الخطأ في التأليف والافتقار على فهمه والإفهام به»⁽¹⁾.

وقال ابن الوردي:

جَمَلُ المنطِقِ بالنحو، فَمَنْ يُحَرِّمِ الإِعْرَابَ بِالنُّطْقِ اخْتَبَلُ

فالاحتراس في علم النحو يعني اتخاذ تدابير لغوية تهدف إلى تجنب اللبس أو الخطأ في التفسير، وذلك من خلال استخدام أساليب وتركيبات نحوية دقيقة لضمان وضوح المعنى، فالقصد من علم النحو ليس فقط تنظيم الكلمات في الجمل، بل أيضاً الاحتراز من الوقوع في الأخطاء التي قد تؤدي إلى تداخل المعاني أو تفسيرات خاطئة، ولذلك، يُعتبر النحو أداة أساسية لضبط البنية اللغوية بدقة، مما يسهم في تحقيق التواصل الفعّال والواضح بين المتحدث والمستمع أو الكاتب والقارئ، وقد تنوّعت صيغ الاحتراس النحوي، هذه الصيغ هي الأساليب التي تجعل المعنى أكثر وضوحاً، وتحفظه من أن يُفهم بطريقة غير مقصودة، ومن أشهر صيغ الاحتراس النحوي:

1.2.1 الاحتراز بالعطف:

يلعب العطف في النحو دوراً مهماً يتجاوز مجرد الربط بين الكلمات والجمل، إذ يسهم أيضاً في تحقيق وظيفة الاحتراس، من خلال العطف، يمكن للمتحدث أو الكاتب أن يوضّح العلاقة بين العناصر اللغوية بطريقة تساهم في إبعاد اللبس وتحديد المعنى بدقة، فعلى سبيل المثال، يمكن استخدام العطف لإضافة تفاصيل أو استثناءات توضح المعنى وتجنب الغموض أو التداخل بين الأفكار، بذلك يُعتبر العطف أداة نحوية فعّالة تضمن وضوح

(1). محمد علي التهانوي، موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج: 01، تج: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996، ص: 24.

الرسالة وتمنع التفسيرات الخاطئة أو المتعددة، ومن أمثلة العطف قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (14) سورة: المائدة. يقول محمد الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية: «فإن كانت العداوة أعم من البغضاء زادت فائدة العطف لأنه يصير في معنى الاحتراس، وإن كانت العداوة أخص من البغضاء لم يكن العطف إلا للتأكيد»⁽¹⁾.

وكقول الفرزدق:

فَبَحَّ إِلَهُ بَنِي كَلَيْبٍ إِنَّهُمْ لَا يَغْدِرُونَ وَلَا يَفُونَ لِجَارٍ

فقوله: "لا يفون" احتراس وذلك لتجنب توهم القارئ أو السامع أن عدم غدرهم يعني بالضرورة الوفاء، فالشاعر يوضح أنه رغم أنهم لا يغدرون إلا أنهم لا يوفون بوعودهم أو لا يقومون بواجباتهم تجاه الجار.

الاحتراس في هذه الجملة يأتي لتفسير أن الوفاء ليس سمة لديهم، بل يشير إلى العجز أو الخيانة في الوفاء.

2.2.1 الاحتراس بالوصف:

يأتي الوصف أيضا للاحتراس، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (54) سورة: المائدة. فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة وهو السهولة لتوهم أن ذلك لضعفهم، فلما قيل "أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ" علم أنها منهم تواضع.

ومثال الاحتراس من السنة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان إحدى النسوة من حديث أم زرع، حيث وصفت زوجها فقالت: «المسّ مسّ أرنب، والريح ريح زرنب، وأغلبه والناس يغلب»، فقولها: "والناس يغلب" احتراس حسن، لأنها لو سكنت على قولها: وأغلبه، ل قيل لها: إن رجلاً تغلبه امرأة لمغلب ضعيف، فاحتست من ذلك فقالت: والناس

(1). محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 06، ص: 148.

يغلب، فناسبت بين قرائنها بجملة تتضمن معنى الاحتراس ممّا يتوجّه على معنى»⁽¹⁾.

3.2.1 الاحتراس بالحال:

من أمثلة ذلك قول طرفة بن العبد من قصيدة يمدح بها قتادة بن مسلمة الحنفي، على ما كان منه تجاه قومه، إذ بذل لهم في سنة أصابتهم:

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْيِي

قوله: "غَيْرَ مُفْسِدِهَا" احتراس «لأنّ سُقْيَا الدِّيارِ بمطر كثير قد يفسدها، فدفع هذا الإيهام بالاحتراس الذي جاء به»⁽²⁾.

وقول ابن المعتز يذكر حاله ومن معه مع الخيل:

صَبَبْنَا عَلَيْهِمُ "ظَالِمِينَ" سَيَاطُنَا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سَرَاعٌ وَأَرْجُلُ

فقوله: (ظالمين) هي «زيادة لولاها لظنّت هذه الخيل بليدة لا تمشي إلا بالضرب، وهذا عندئذ ذم لا مدح، فدفع هذا التوهّم، واحترس له بوصفهم لأنفسهم أنّهم ظالمون، فأشعر أنّ ضربهم لها كان ظلماً منهم، ولم يكن لبلادة فيها فتحتاج إلى ضرب»⁽³⁾.

4.2.1 الاحتراس بالجملة الاعتراضية:

الجملة الاعتراضية هي الجملة التي تقع بين شيئين متلازمين؛ كالمبتدأ والخبر، أو كالفعل والفاعل، أو كالصفة والموصوف، وهي من الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب، ومن وظائفها الاحتراز، ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى في سورة المنافقون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ﴾⁽¹⁾ سورة المنافقون. ورد في تفسير التحرير والتنوير أنّ «جُمْلَةُ "وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ" مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ الْمُتَعَاظِفَتَيْنِ وَهَذَا الْإِعْتِرَاضُ لِدَفْعِ إِيهَامٍ مَنْ يَسْمَعُ جُمْلَةَ "وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ" أَنَّهُ تَكْذِيبٌ لِجُمْلَةِ "إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ" فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَوْمَئِذٍ مَخْضُوفِينَ بِإِفْهَامٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ مَبْثُوثِينَ بَيْنَهُمْ هَجِيرَاهُمْ فِتْنَةً الْمُسْلِمِينَ فَكَانَ الْمَقَامُ مُقْتَضِيًا

(1). ابن أبي الإصبع، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ج: 02، ص ن.

(2). عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها،

(3). وليد قصاب، علم المعاني، دار الفكر، دمشق، 2012، ص: 239.

دَفَعَ الْإِيهَامَ وَهَذَا مِنَ الْإِحْتِرَاسِ»⁽¹⁾.

3.1 الاحتراس في البلاغة العربية:

الغرض من البلاغة هو، من خلال علمي المعاني والبيان، الاحتراس عن الخطأ في المعنى المقصود ومن التعقيد المعنوي، يقول صاحب موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: «اعلم أنّ البلاغة سواء كانت في الكلام أو في المتكلم رجوعها إلى أمرين: أحدهما الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، أي ما هو مراد البليغ من الغرض المصوغ له الكلام كما هو المتبادر من إطلاق المعنى المراد في كتب علم البلاغة، فلا يندرج فيه الاحتراز عن التعقيد المعنوي كما توهمه البعض، ولا الاحتراز عن التعقيد مطلقاً، والثاني تمييز الفصيح عن غيره، ومعرفة أن هذا الكلام فصيح وهذا غير فصيح، فمنه ما يبيّن في علم متن اللغة أو التصريف أو النحو أو يدرك بالحسّ، وهو أي ما يبيّن في هذه العلوم ما عدا التعقيد المعنوي، فمست الحاجة للاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد إلى علم، والاحتراز عن التعقيد المعنوي إلى علم آخر، فوضعوا لهما علمي المعاني والبيان، وسموهم علم البلاغة لمزيد اختصاص لهما بها، ثم احتاجوا لمعرفة ما يتبع البلاغة من وجوه التحسين إلى علم آخر، فوضعوا له علم البديع، فما يحترز به عن الأول أي الخطأ في التأدية علم المعاني، وما يحترز به عن الثاني أي التعقيد المعنوي علم البيان، وما يعرف به وجوه التحسين علم البديع»⁽²⁾، فعلم البلاغة غرضه الاحتراس من الخطأ في بيان المعنى المراد وتجنّب الغموض أو التفسير الخاطئ.

1.3.1 أنواع الاحتراس:

للاحتراس صور وأنواع متعددة تتنوع بحسب السياق والغرض البلاغي، ويصعب حصرها لكثرتها وتفرّعها، لعلّ من أبرزها:

• الاحتراس الضدّي (الطباق والمقابلة):

هو نوع من الاحتراس المعنوي، وفيه يُستخدم التضاد (الطباق) أو التوازي المعنوي (المقابلة) بين كلمتين أو أكثر لدفع توهم معين، أو توضيح معنى خفي قد يُفهم خطأً.

(1). محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج: 28، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص: 235.

(2). محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج: 01، ص: 28.

ومثله من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (44). سورة النجم، يقول عنه الطاهر بن عاشور: «ولعلّ المقصود هو العبرة بالإماتة لأنها أوضح عبرة وللدّرّ عليهم قولهم "وما يهلكنا إلا الدهر"، وأنّ عطف "وأحيا" تتميم واحتباس كما في قوله الذي خلق الموت والحياة، ولذلك قدم أمات على أحيا مع الرعاية على الفاصلة كما تقدم في أضحك وأبكي»⁽¹⁾.

وقال الشاعر:

نُعِيبُ زَمَانَنَا وَالْعِيبُ فِينَا وَمَا لَزَمَانِنَا عِيبٌ سَوَانَا

المقابلة بين "نعيب زماننا" و"العيب فينا"، تُستخدم هنا لاحتباس المعنى من أن يتوهم السامع أن الزمان هو السبب، بل الشاعر يُحذّر أن العيب فينا نحن، لا في الزمان.

● الاحتباس بالتفصيل بعد الإجمال:

هو أن يُقال كلام مجمل (عام)، ثم يُتبع بتفصيل، والغرض من هذا التفصيل هو: رفع التوهم الذي قد يُفهم من الكلام المجمل، ومن أمثلته: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَغْدِلُونَ﴾ (159)، سورة الأعراف. يقول بن عاشور: «وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى» عطف على قوله: "وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ" (148) الآية، فهذا تخصيص لظاهر العموم الذي في قوله: "وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى" قصد به الاحتباس لئلا يتوهم أن ذلك قد عمله قوم موسى كلّهم وللتنبية على دفع هذا التوهم قدّم "وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى" على متعلّقه»⁽²⁾، فالاحتباس هنا يُقصد به التنبيه على أن الذم السابق لا يعمّ جميع القوم، بل هو خاص ببعضهم، لذا فالتقديم في "وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى" يفيد التخصيص ويصرف الذهن عن التعميم، لبيان أن هناك من قوم موسى من بقوا على الهداية، بخلاف من عبد العجل، وهذا من دقّة التعبير القرآني وإعجازه.

● الاحتباس بالاستدراك:

الاحتباس بالاستدراك هو: أن يُتبع الكلام بعبارة تستدرك أمراً قد يُفهم منه غير

(1) - محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج: 27، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ص: 144.

(2) - نفسه، ص: 142.

المقصود، هذا النوع من البلاغة فيه دقة وعمق وجمال، يستخدمه القرآن الكريم والكتاب والشعراء لرفع أي توهّم أو تفسير خاطئ ممكن يفهمه القارئ من الجملة الأولى، ومثله في القرآن الكريم قوله عز وجل: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (40). سورة الأحزاب، ويظهر الاحتراس في: «استدراك قوله» ولكن رسول الله " لرفع ما قد يُتوهم من نفي أبوته، من انفصال صلة التراحم والبرّ بينه وبين الأمة فذكّروا بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كالأب لجميع أمته في شفقتة ورحمته بهم، وفي برّهم وتوقيرهم إياه، شأن كل نبي مع أمته »⁽¹⁾.

2.3.1 بلاغة الاحتراس:

يُعتبر الاحتراس أداة بلاغية قوية تُستخدم في العديد من أنواع الخطاب، سواء في الخطاب الأدبي الرفيع أو في الخطب الارتجالية، في الكلام الشفهي أو المكتوب، ويكون هذا الاحتراس حينما يأتي المتكلم بكلام يوهّم خلاف ما يريد، ويأتي بعده بكلام يدفع به ذلك الإيهام، ومثل هذا يوجد في أرفع الكلم لتحقيق غرض بلاغيّ، وقد يوجد في كلام أهل الخطب الارتجالية على سبيل التدارك لما جاء في كلامهم ففطنوا إليه فاحترسوا تكميلاً⁽²⁾، من خلاله، يمكن دفع التوهّم أو الإيهام وتوضيح المعنى المقصود، مما يعزّز من قوة التأثير البلاغي ويحقّق للمتكلم الهدف المنشود، سواء كان ذلك في تحقيق الوضوح والتفصيل أو في التدارك والتصحيح عند الحاجة، ويساعد على جعل الخطاب أكثر فاعلية، ويمنع حدوث اللبس أو التضليل الذي قد يشوّه المعنى.

ويمكن إجمال جوانب بلاغة الاحتراس فيما يلي:⁽³⁾

- الاحتياط، وصيانة الكلام عن احتمال الخطأ وفساد المعنى.
- إكمال المعنى، ودفع التوهّم (الإيهام) الموجب للعب والنقص في الكلام.

(1)- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج: 22، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ص: 44.
 (2)- عبد الرحمن حسن حبتكة الميداني، البلاغة العربية (أسسها، علومها، أفنانها)، ج: 02، دار القلم، دمشق، 1996، ص: 84.
 (3) - أحمد فتحي رمضان و عدنان عبد السلام، الاحتراس في القرآن الكريم: دراسة بلاغية، مجلة آداب الرافيدين، ع: 54، 2009م.

- المبالغة في المعنى المراد من مدح أو ذم، أو غيرهما من المعاني.
 - تحسين الكلام وتجميله من خلال هذه الزيادة الإطنابية.
- فبالغة الاحتراس إجمالاً تكمن في توضيح المعنى، والحفاظ على دقة الكلام، وإضافة المبالغة عند الحاجة، وتحسين اللفظ وجماله.

2. الاحتراس: مقارنة وظيفية تواصلية:

يُعدُّ الاحتراس من الظواهر البلاغية الدقيقة التي تعكس وعياً عميقاً بأصول التواصل اللغوي، لا سيّما حين يُنظر إليه من زاوية المقاربة الوظيفية التواصلية، التي تتجاوز المستوى الشكلي أو الجمالي إلى ما هو أعمق: أي إلى الوظيفة التي يؤديها في ضبط المعنى، وتنظيم العلاقة بين أطراف العملية التواصلية، وبخاصة بين المرسل (المتكلم أو الكاتب) والمتلقي (السامع أو القارئ)، فهو استراتيجية تواصلية مقصودة، تسعى إلى توجيه الفهم، وتقنين التأويل، وتفاذي الإبهام أو اللبس المحتمل في المعنى، وتُمارس ضمن بنية لغوية مدروسة تستجيب لحاجة التداول والسياق.

1.2 العنوان الاحتراس كآلية لغوية وظيفية:

من منظور النظرية الوظيفية للغة (Functional Linguistics)، فإنَّ كل وحدة لغوية ينبغي أن تُفهم في ضوء الوظيفة التي تؤديها في السياق، «وتستهدف النظرية وصف قدرة المتكلم أي معرفته للغة التي تمكنه من الإنجازات في مواقف تواصلية معينة»⁽¹⁾، من هنا يُعدُّ الاحتراس آلية لغوية ذات وظيفة تواصلية أساسية في بناء الخطاب، فهو لا يُستخدم لمجرد التجميل البلاغي أو الزخرفة اللفظية، بل يؤدي وظيفة دلالية تداولية حاسمة تتمثل في التحكم في التأويل، وتوجيه الفهم، وتقنين الاستجابة الذهنية للمتلقي، فعندما يُدرج المتكلم عنصراً احترازياً في كلامه، فإنه يُمارس فعلاً لغوياً واعياً، يُقصد منه تضيق دائرة الفهم الممكن، وتحجيم التأويلات غير المرغوب فيها، بما يضمن الاقتصاد الدلالي وضبط التواصل.

(1)- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط: 02، بيروت، 2010، ص:

ويظهر البُعد الوظيفي للاحتراس بجلاء في المواطن التي يحتمل فيها السياق سوء فهم، أو التي يكون فيها المتلقي عرضة لتأويل غير دقيق، أو قد يقوده ظاهر الكلام إلى استنتاجات غير مقصودة، وهنا يتدخل الاحتراس بوصفه وسيلة تصحيحية anticipatory corrective device، تُدرج مسبقًا لتجنّب الانزلاق التأويلي أو اللبس التداولي، وتكمن قيمته الوظيفية في أنّه لا يُضَاف إلى النص من باب الاحتياط البلاغي فحسب، بل لأنّه يسهم في الحفاظ على انسجام الخطاب، وتقنين مسارات التلقي، وبناء علاقة آمنة بين المتكلم والمتلقي.

والاحتراس، في هذا الإطار، يُعدّ أداة وظيفية تحمي البنية الحجاجية للخطاب، وتحافظ على مقاصده، وتُظهر مسؤولية المتكلم نحو المعنى المُنتج. كما أن دوره يمتد إلى الجوانب الاجتماعية للخطاب، من خلال حفظ "صورة الذات (Face-saving)" واحترام مقتضيات المقام، وبهذا يكون الاحتراس جزءًا من الاستراتيجيات التفاعلية الدقيقة التي يُدير بها المتكلم علاقته مع المعنى، ومع السياق، ومع المتلقي في آنٍ معًا، فعلى مستوى المعنى يعمل الاحتراس على ضبط دلالات الكلام، وتوجيهها نحو تأويل محدد، ممّا يمنع الانزلاق نحو معانٍ غير مقصودة، أما على مستوى السياق، فهو يراعي ظروف التخاطب، وحساسية المقام، ومقتضيات الحال، ما يجعله آلية سياقية بامتياز، وفي علاقته بالمتلقي، يُمارس الاحتراس وظيفة تواصلية تتسمّ بالحذر والحرص، إذ يهدف إلى تقليل احتمالات إساءة الفهم أو التأويل، ويضمن بذلك استجابة تأويلية منضبطة تتماشى مع مقاصد المتكلم.

2.2 الاحتراس في ضوء عناصر العملية التواصلية:

تُعدّ العملية التواصلية الإطار النظري الذي تنتظم ضمنه كل أشكال التفاعل اللغوي بين الأفراد، ووفق ما قرره اللسانيات التداولية، فالتواصل اللغوي ليس مجرد إرسال معلومات، بل هو نشاط تفاعلي قائم على تبادل المقاصد والمعاني، ويتمّ من خلال مكونات محددة: المرسل (المتكلم)، والرسالة (النص/الخطاب)، والوسيط أو القناة، والسياق، والمتلقي (السامع/القارئ)، هذه العناصر لا تعمل بشكل منعزل، بل تتفاعل ديناميكيًا داخل كل عملية تواصلية، وتتأثر بعوامل نفسية، واجتماعية، ومعرفية، وثقافية.

يعد الاحتراس عنصرًا مهمًا في سياق نجاح العملية التواصلية، يمكن أن يكون له تأثير

بالغ، فنجاح التواصل يعتمد على عدة عوامل، والاحتراس يعتبر جزءاً من هذه العوامل لأنه يساهم بشكل مباشر في كيفية استقبال الرسالة وفهمها من قبل المتلقي، «إنَّ التواصل ليس فعلاً عشوائياً، أو حدثاً غفلاً بل هو فعل مخطَّط له، وموجَّه لتحقيق أهداف معيَّنة، وإقامة العلاقات بين الناس من أهمِّ أهدافه، بيد أنَّ أهدافه ليست محصورة في ذلك، بل تتجاوزها، في التعامل اليومي بين الناس، إلى التبليغ، والإقناع»⁽¹⁾.

في العملية التواصلية، يُعد الاحتراس أداة بلاغية هامة لضمان وضوح المعنى ودقة الفهم بين المتكلم والمتلقي. يهدف الاحتراس إلى تجنب اللبس أو التفسير الخاطئ لما يقال، والتأكد من أن الرسالة ستصل إلى المتلقي كما يُراد لها، في الأدب، تُعد اللغة مجالاً للإيحاء والتأويل، لذلك فإنَّ الاحتراس يُسهم في تنظيم المسافة الجمالية بين النص والقارئ. هو يخلق ضرراً من التوازن الفني بين التلميح والتصريح، بين الاحتمال والتأكيد، وهو ما يزيد من ثراء التفاعل القرائي للنص.

حين يستعمل الكاتب الاحتراس، فهو لا يكتفي بتوضيح ما يقول، بل يُشرك القارئ في عملية فهم مركَّبة، تجعله يتأمل في المعنى ويعيد تشكيله وفق ما يوضِّحه النص. وهذا النوع من التفاعل يمثل أحد أرقى أشكال التواصل الأدبي البلاغي.

وفي هذا السياق، تلعب أطراف الاحتراس دوراً محورياً في تسهيل عملية التواصل الفعَّال بين الطرفين، ويمكن تلخيص أطراف الاحتراس في العملية التواصلية في: المتكلم، المتلقي، الرسالة.

1.2.2 المتكلم (المرسل) : The speaker (sender)

المتكلم هو الطرف الذي يبدأ العملية التواصلية بإرسال الرسالة أو الفكرة، وهو مصدر الخطاب المقدَّم، الباعث الأول على إنشاء الخطاب... وتختلف القيود المنطقية والمنهجية المتعلقة بالمرسل حسب وضعه التخاطبي، وطبيعة خطابه المرسل⁽²⁾، ففي حالة الاحتراس، يتحمَّل المتكلم المسؤولية الكبرى في تحقيق الدقة وإزالة الغموض في الرسالة،

(1)- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004، ص: 10.

(2)- الطاهر بومزير، التواصل اللساني والشعرية (مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكوبسون)، منشورات الاختلاف/الدار العربية للعلوم- ناشرون، الجزائر/ بيروت، 2007، ص: 24.

فهو الذي يقوم بتحديد المعنى المراد توصيله، ويسعى لتجنب أي احتمال لفهم الرسالة بشكل خاطئ أو غامض، من خلال استخدام أدوات الاحتراس (مثل التوضيحات أو الاستدراكات)، يتأكد المتكلم من أن المعنى الذي يريده سيكون واضحًا للمتلقي، وأن أي لبس قد يحدث يتم دفعه أو إبعاده، فهو يعي ما قد يُفهم من كلامه على غير وجهه، فيمارس رقابة على خطابه، ويحتاط للّبس أو التأويل الخاطئ، فالمتكلم يمارس وظيفة مزدوجة:

- تقديم المعنى المقصود.
 - ضبط أفق التأويل، أي منع القارئ أو السامع من الانزلاق في فهم غير مراده.
- من هنا يكشف الاحتراس، من زاوية وظيفية تواصلية، عن وعي المتكلم بالمتلقي؛ إذ ينطوي على استبصار باحتمالات الفهم، واستشراف للتأويلات غير المرغوبة، وهو ما يدفع المتكلم إلى تصحيح المعنى قبل أن يُساء تأويله، هذا الوعي هو ما يجعل الاحتراس فعالاً تواصلياً راقياً، نابغاً من تقدير المتكلم لمسؤولية القول، واحترامه لعقل المتلقي، وسعيه نحو الفهم المشترك كهدف أعلى لأي خطاب ناجح.

2.2.2 المتلقي (المستقبل) The receiver:

المتلقي هو الطرف الذي يتلقى الرسالة ويحاول فهم المعنى المقصود، «ويقوم المرسل إليه بعملية التفكيك لكل أجزاء الرسالة سواء أكانت كلمة، أم جملة، أم نصاً»⁽¹⁾ وفي الاحتراس، يلعب المتلقي دوراً محورياً في تفسير الرسالة استناداً إلى ما يقدمه المتكلم من توضيحات أو استدراكات، عند تلقي رسالة تحتوي على احتراس، يجب على المتلقي أن يكون متيقظاً لما يأتي بعد عبارة الاحتراس لتحديد الفهم الصحيح، وأن يدرك المعنى الذي يراد تأكيده أو استبعاده، باعتباره طرفاً فعالاً في إنتاج المعنى، ولذلك يُخاطب الاحتراس عقله التأويلي، ويؤطر فهمه ضمن حدود مرسومة مسبقاً.

3.2.2 الرسالة The message:

تُعد الرسالة في إطار العملية التواصلية محور التفاعل بين المتكلم والمتلقي، فهي

(1)- الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية (مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكوبسون)، ص: 25.

الوعاء الذي يحمل المعنى، والوسيط الذي يُنقل من خلاله ما يريده المتكلم إلى المتلقي،» وهي الجانب الملموس في العملية التخاطبية حيث تتجسّد عندها أفكار المرسل في صور سمعية لما يكون التخاطب شفهيًا، وتبدو علامات خطيّة عندما تكون الرسالة مكتوبة⁽¹⁾، وتقوم في سياق الاحتراس بدورٍ دقيقٍ ومعقّد؛ إذ لا تكتفي بمجرد الإبلاغ، بل تنخرط في وظيفة بلاغية تضمن نقل المعنى المقصود دون تشويش أو لبس، وذلك من خلال الاحتياطات اللغوي والمعنوي الذي يقدمه الاحتراس، حيث لا تكون الرسالة خطأً مستويًا من المعنى، بل هي بناء مركّب يتضمن:

— مستوى أوليًا يحمل احتمالًا لمعنى قد يُفهم على غير وجهه الصحيح (المحترس منه).

— مستوى ثانويًا لاحقًا يُضاف لتوضيح المعنى المقصود واستبعاد ما لا يُراد (الاحتراس نفسه)

الرسالة في العملية التواصلية للاحتراس هي رسالة مركّبة، تتجاوز كونها ناقلة للمعنى لتصبح ضابطة له، فهي تتشكّل من قول ابتدائي (المحترس منه) قد يُفهم على غير ما يُراد، ويُتبعه قولٌ احتراسيٌّ يصحّح المسار ويوجّه المتلقي نحو المقصود، بهذه البنية، تؤدي الرسالة في الاحتراس وظائفها البلاغية والتواصلية.

خاتمة:

يمكننا استنتاج أن الاحتراس يعدّ من أبرز الأساليب البلاغية التي تجمع بين الدقّة النحوية والعمق الدلالي، فضلاً عن كونه أداة مهمة في تحقيق الفعالية التواصلية في الخطاب. لقد تناولنا في هذا البحث دور الاحتراس في تجنب الالتباس، وضبط المعنى، وتوضيح المقاصد من خلال أدوات نحوية وبلاغية محددة، مما يساهم في تعزيز وضوح الرسالة والحد من إمكانيات التفسير الخاطئ.

لقد اتضح لنا، من خلال دراستنا، أن الاحتراس لا يُستخدم فقط لإزالة اللبس أو للتأكيد على المعنى، بل يُعد أداة حيوية لتحقيق التوازن بين الاستفهام والإيضاح، وبين

(1)- نفسه، ص: 27.

الشك واليقين، وبذلك يعزز من فعالية الخطاب الحجاجي ويُسهّم في توجيه المتلقي نحو التفسير الدقيق لما يُراد نقله. وعليه، يمكن القول إن الاحتراس يمثل وظيفة تواصلية دقيقة تساهم في إصلاح الخلل الذي قد يحدث أثناء التفاعل اللغوي، سواء كان هذا التفاعل شفهيًا أو كتابيًا، مما يعكس مستوى عاليًا من الوعي البلاغي لدى المتكلم، وقدرته على توظيف اللغة بشكل مبدع في مختلف السياقات.

من ناحية البنية النحوية، تبين أن الاحتراس يعتمد على استخدام التركيبات اللغوية الدقيقة، مثل أدوات التوكيد، المحددات، والاستدراكات التي تهدف إلى تعديل الفهم وتنقيح الفكرة المطروحة، مما يعزز الوضوح ويحافظ على سلامة المعنى. أما من الجانب البلاغي، فقد اتضح أن الاحتراس ليس مجرد وسيلة لتدارك الخطأ، بل هو أيضًا أداة بلاغية قادرة على إثراء النصوص وتوفير أبعاد إضافية للمعنى، مما يُضفي عليها جمالًا فنيًا وغنى دلاليًا. وهذا يساهم في زيادة فعالية الخطاب في التعبير عن الأفكار، سواء في النصوص الأدبية، أو في الخطاب السياسي، أو في الجدل الفكري والعلمي.

أما فيما يتعلق بـ الوظيفة التواصلية للاحتراس، فقد تبين من خلال الدراسة أنه لا يقتصر على تنقية المعنى فحسب، بل يساعد على بناء حوار فعال بين المتكلم والمستمع، من خلال استباق الاعتراضات المحتملة أو التفسيرات الخاطئة. وبالتالي، يعزز الاحتراس من فهم المتلقي ويُقلل من احتمالات سوء الفهم أو الاختلاف في التفسير، مما يجعل الخطاب أكثر قدرة على تحقيق أهدافه.

وفي ضوء هذه النتائج، نجد أن الاحتراس لا يمثل فقط أداة بلاغية معزولة، بل هو استراتيجية تواصلية شاملة تتكامل فيها الأبعاد النحوية والبلاغية والتداولية، الأمر الذي يعكس عمقها وتنوعها في الخطاب العربي. وعلى الرغم من أهمية الاحتراس في الخطابات الرسمية مثل الخطابات السياسية أو الأدبية، فإنه يعد أيضًا أداة ضرورية في الخطاب اليومي، إذ يساعد المتكلمين على توضيح مقاصدهم، تصحيح المسارات، وتفادي التفسير المزدوج.

المراجع:

القرآن الكريم

المراجع العربية:

- ابن أبي الإصبع، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفي

- محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1963.
- ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج: 02، تح: عصام شقيو، دار الهلال، بيروت، 2004.
- ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ج: 02، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، دت.
- ابن منظور، لسان العرب، ج: 03، دار صادر، ط: 03، بيروت.
- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط: 02، بيروت، 2010.
- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.
- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: 03، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي وصاحبه، دار المعرفة، بيروت، 1990/42.
- الطاهر بومزير، التواصل اللساني والشعرية (مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكوبسون)، منشورات الاختلاف/ الدار العربية للعلوم- ناشرون، الجزائر/ بيروت، 2007.
- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج: 02، دار القلم، دمشق، 1996.
- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية (أسسها، علومها، أفنانها)، ج: 02، دار القلم، دمشق، 1996.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004.
- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج: 27، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
- محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996.
- وليد قصاب، علم المعاني، دار الفكر، دمشق، 2012.